رابط المادة على منصة باحث

مجالس في تدبر القرآن

مجالس في تدبر القرآن |)410(من قوله تعالى اشتروا الضلالة بالهدى إلى قوله تعالى ذهب الله بنورهم ..

خالد السبت

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته نواصل الحديث ايها الاحبة فيما يمكن استخراجه من الهدايات من هذه الايات الكريمة من هذه السورة العظيمة سورة - 00:00:00

البقرة فالله تبارك وتعالى يذكر فيها اوصاف المنافقين وبعد ان تم ذكر تلك الاوصاف بين الله تبارك وتعالى حقيقة الحال التي اختاروها لانفسهم وان هؤلاء الذين كانوا يعتقدون انهم على - 00:00:23

شيء من الحصافة والفطنة وان اهل الايمان هم السفهاء انؤمن كما امن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون فالله تبارك وتعالى يقول عنهم هنا اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى - 00:00:47

فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين هؤلاء اهل النفاق باعوا انفسهم بصفقة خاسرة فاختاروا الكفر وتركوا الايمان وكانت صفقتهم في غاية الخسارة والغبن وهذا هو الخسران الحقيقي وهؤلاء ابعد ما يكون الواحد منهم عن الاهتداء - 00:01:09

وهذه حاله تأمل قول الله تبارك وتعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى جاء هنا الاشارة الى البعيد لبعد حال هؤلاء عن الهدى ليه انهم في منزلة من السفول والانحطاط سحيقة - 00:01:41

فجاءت الاشارة بذلك كما يقول بعض اهل العلم والعلم عند الله تعال ثم تأمل كيف عبر عن هذه الحال ب انهم اشتروا فالله تبارك وتعالى قد سمى المعاملة معه تجارة - 00:02:10

فما ربحت تجارتهم هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وسمى ذلك بيعا فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وسماه تجارة وسماه شراء اشتروا الضلالة اشتروا الكفر بالايمان وكذلك ايضا - 00:02:34

سمى الخسارة في هذه المعاملة سماها خسارة وسمى يوم الجزاء والحساب بيوم التغابن والغبن في الاصل انما يكون في البيع والشراء ونحوهما فهؤلاء كانوا في غاية الغبن وذلك ان ربنا تبارك وتعالى اعطى كل واحد رأس مال - 00:03:01

هذه الانفاس هذا العمر ليتجر مع ربه تبارك وتعالى بالاعمال الصالحة فهؤلاء جدوا واجتهدوا في تحصيل المنازل في الدرك الاسفل من النار واهل الايمان جدوا واجتهدوا في تحصيل المنازل العالية في الجنة - 00:03:34

فوافى فدخل اهل الايمان الجنة وايضا اورثهم الله تبارك وتعالى منازل اهل النار التي في الجنة واولئك ادخلهم الله النار واورثهم ايضا منازل اهل الجنة التي في النار فهذا لا شك انه - 00:03:57

غاية بي الغبن فهؤلاء اهل النفاق رغبوا في الضلالة رغبة المشتري بالسلعة الذي يكون من رغبته فيها انه يبذل فيها الاثمان والاموال وهذا تصوير شدة اقبالهم على الضلال والكفر والانحراف - 00:04:18

فجعل الضلالة التي هي غاية الشر كالسلعة وجعل الهدى الذي هو غاية الصلاح بمنزلة الثمن فما ربحت تجارتهم اشتروا الضلالة بالهدى مع ان هؤلاء ما كانوا على هدى فبذلوه مقابل - 00:04:46

اخذ الضلالة ولكن من اهل العلم من يقول ان ذلك بتركهم نور الفطرة فكل مولود يولد على الفطرة واحسن من هذا والله تعالى اعلم ان يقال ان ايثارهم الضلالة على الهدى - 00:05:09

وبهذه المثابة اشتروا الضلالة ب الهدى فهذا الاختيار منهم والايثار للضلالة هو بمنزلة الاشتراك وانما يشتري الانسان ما يرغب فيه

فهؤلاء لما كانت فطرهم قد تدنست وفسدت نفوسهم تقبل على - 00:05:25
القبائح والرذائل كالجعلان تدفع بالافها امة فهذا حيث تنتكس الفطر كما ان هذه الاية ايضا تدل على ان الانسان قد يتصور انه على حال من التمام والكمال والاستقامة في الحال والعمل - 00:05:50
ولا يشعر بما هو فيه من الاساءة والضياع فانظر الى هؤلاء كيف اشتروا الضالة بالهدى ظنا منهم انهم على على صواب وانهم رابحون ولهذا قال الله تبارك وتعالى فما ربحت تجارتهم. وما كانوا مهتدين - 00:06:14
ما ربحت تجارتهم ومثل هذا التركيب يدل على العموم ما ربحت بحال من الاحوال وبصورة من الصور فهم خاسرون خسارة محققة من كل وجه حتى في الدنيا حيث ظنوا انه قد احرزوا اموالهم - 00:06:37
وحقنوا دماءهم طم ينغمسون في الضلالة وهم متحققون بالخسارة وكذلك ايضا وما كانوا مهتدين. يعني بحال من الاحوال ما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فهم لم يكونوا على شيء من الاهتداء لا في هذا الاختيار - 00:06:58
ولا فيما هم عليه من الاعتقاد ومع ذلك يرون انهم اهل معرفة وحسن نظر في الامور ويصفون اهل الايمان بالسفهاء فهكذا ايها الاحبة اذا طمست البصائر يختار الانسان ما يضره - 00:07:24
كما قال الله تبارك وتعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم واذا انسى الله تبارك وتعالى العبد نفسه صار اقباله على ما يضره فيبذل الاموال فيما يكون فيه ضرره المحقق - 00:07:46
ويكون عمله على غير اهتداء وسعيه في غي وانظر بما تراه وما تشاهده في هذه الاوقات وفي غيرها من الاوقات كيف تعمى البصائر فيقدم الانسان على اعمال واحوال لا يمكن ان يقبل عليها من فتح الله بصيرته - 00:08:07
وانار الله قلبه. فقد يبذل مهجته ونفسه ويكون في حال من كراهة المنظر وسوء المنقلب نسأل الله العافية وهو يظن انه على على حق وعلى اهتداء وفعله هذا في غاية - 00:08:32
الفساد والافساد والشر وقد يكون ذلك سببا لفتنة نائمة والنبي صلى الله عليه وسلم يقول الفتنة نائمة قد يكون سببا لفتنة نائمة فيوقظها الفتنة نائمة لعن اي الله من ايقظها ويظن انه على خير - 00:08:51
وعلى هدى وتسمع بالعجايب والغرائب الله تبارك وتعالى يهدي من يشاء ويوفق من شاء ويضل من يشاء. لكن انظروا الى اثر طمس البصائر كيف يصنع باهله واصحابه ثم بعد ذلك هو لا يتردد - 00:09:12
في كونه على صواب وهدى وحق ويرى اهل الحق والايمان انهم في غاية السفه ثم ضرب لهم المثل وقد تكلمنا على هذا المثل تفصيلا في الفاظه ومضامينه ومراميه ولكن في مثل هذه المجالس انما يشار الى - 00:09:32
بعض الفوائد والهدايات التي تستخرج من الايات مثلهم كمثل الذي استوقد نارا. فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون اذى مثل ضربه الله عز وجل لهؤلاء المنافقين بعد ان بين حالهم - 00:09:55
وما هم فيه من الخسارة المحققة وما هم فيه من مجانبة الاهتداء والمثل تكلمنا عليه تفصيلا في مجالس وان عامة موارد هذه المادة ترجع الى معنى الشبه بل ان بعض اهل العلم اعاد ذلك في جميع موارده الى معنى الشبه - 00:10:20
كما فعل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله خلق من اهل العلم قبله وبعده. ولكن على كل حال ليس هذا محل اتفاق الا انه الغالب في الاستعمال مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وهذا من الامثال الصريحة - 00:10:46
في القرآن فان الامثال في القرآن منها ما هو صريح مصرح فيه بلفظ المثل ومنه ما يذكر فيه اداة شبه اداة التشبيه ومنه ما لا يذكر فيه هذا فهنا صرح الله تبارك وتعالى - 00:11:05
بان ذلك من قبيل المثل وهذا المثل هو احد المثلين الناريين في كتاب الله تبارك وتعالى وهذا الذي في سورة البقرة مثلهم كمثل الذي استوقد نارا والمثل المائي هو الذي بعده او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد - 00:11:23
وبرق الى اخر ما ذكر الله عز وجل وذكر المثلين ايضا الماء والنار في قوله انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ثم ذكر المثل الناري بعده - 00:11:47

ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فهذا في ضرب الحق والباطل وما هنا في سورة البقرة وفي بيان حال هؤلاء - 00:12:07

المنافقين على خلاف بين المفسرين هل هذان المثلان لطائفة واحدة في احوال مختلفة او ان ذلك لنوعين وفئتين من المنافقين فالله تبارك وتعالى يقول مثلهم حال هؤلاء الذين اظهروا الايمان ولم - 00:12:26

يكن ذلك في قلوبهم بانهم بهذه المثابة كمثل الذي استوقد نارا استوقد نارا هذا انسان في مكان مظلم فاستعار نارا استوقدها ثم بعد ذلك فلما اضاءت ما حوله وانتفع بهذه الاضاءة - 00:12:53

ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون فبقوا في الظلام بعد ان انتفعوا بهذا النور شيئا من الوقت تأمل في هذا المثل المضروب لهؤلاء مثلهم كمثل الذي استوقد نارا استوقد - 00:13:16

السين والتاء للطلب يعني كأن هذا قد استعاره من غيره فهو لا لا يكون نابعا من داخله وانما هو شيء اجتنبه استوقد نارا فهؤلاء اهل النفاق هم لا يملكون الايمان ولم يتحققوا به وانما هو شيء - 00:13:39

ادعوه فهو خارج عن ذواتهم استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم فلما اضاءت ما حوله لاحظ ما اضاءت قلوبهم ونفوسهم ودواخلهم وانما اضاءت ما حوله فجعل هذا الضوء خارجا - 00:14:00

عنهم منفصلا عن ذواتهم. ولو اتصل الضوء بهم ولبسهم فانه يبقى ويستنير به القلب ويتحقق بذلك الايمان ولكنه ضوء مجاورة لا ملابسة ومخالطة فهو ضوء عارظ والظلمة اصلية ثابتة في نفوس - 00:14:25

هؤلاء وقلوبهم فلما انكشفت الحقائق رجع الضوء الى معدنه والظلمة الى معدنها فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات بقوا على الاصل انتفعوا بعض الوقت بهذه الدعوة دعوى الايمان فحصل لهم من حقن الدماء - 00:14:50

احراز الاموال فذهب ذلك النور وبقيت الظلمة. وتأمل التنكير في قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا قد يفهم من هذا التنكير التعظيم استوقد نارا عظيمة فانتفع بي. فدعوى الايمان هذه التي ادعوها هي دعوة كبيرة - 00:15:12

لكنها لا تمثل حقيقة في نفوس هؤلاء ثمان ذلك ايضا يدل على ان الايمان له نور لكن هذا النور لم يكن في نفوس هؤلاء وانما كان من حولهم فان الايمان يحصل به استنارة القلب ويحصل به من المنافع - 00:15:33

في الحياة الدنيا وفي البرزخ وفي القيامة وفي الجنة ويكفي ما جاء في ذلك من انه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان وفي بعض الاحاديث - 00:15:54

ان ذلك من كان في قلبه ذرة من ايمان هذا الايمان الصحيح المنجي فهنا هؤلاء ليس في قلوبهم شيء من الايمان فلما اضاءت ما حوله اضاءت ما حوله اذا لم يكن ذلك في قلوبهم ذهب الله بنورهم. لاحظ استوقد نارا - 00:16:12

ثم قال ما قال ذهب الله بنارهم قال فلما اضاءت ما حوله ما قال ذهب بضوئهم وانما قال ذهب بنورهم فهذه ثلاثة اشياء النار التي استوقدوها فالنار فيها الاحراق وفيها ايضا الضياء - 00:16:37

فهذا النور الذي يكون معه حرارة يقال له ضوء هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا. فهذا النور الذي يكون من الشمس يقال له ضياء. لماذا؟ لان معه حرارة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم الصبر ضياء - 00:16:57

والصلاة نور. الصبر لما فيه من الحرارة واما الصلاة فهي نور ليس فيها حرارة وجعلت قرة عيني في الصلاة قرة العين قرة البرودة قرة عينه كما ذكرنا في بعض المناسبات انه حينما يفرح الانسان - 00:17:17

يحصل له بسبب ذلك شيء من برودة القلب والجوف وتكون دموع الفرح باردة واما اذا كان الانسان في حالة من الحزن فانه يشعر بحرارة في جوفه وتكون دموع الحزن ساخنة - 00:17:37

بل انه يجد مع الحزن السخونة في نفس العين يجد فيها حرارة فهنا استوقد نارا فلما اضاءت اثر هذه النار هو الضوء لان فيه حرارة ما الذي ذهب؟ لم تذهب النار - 00:17:57

ولم يذهب الضوء وانما ذهب النور فقط. فالنور من غير حرارة ولا احراق. فذهب النور وبقيت الحرارة والاحراق نسأل الله العافية

انظر الى حال هؤلاء وهذا من استهزاء الله تبارك وتعالى - 00:18:17
بهم يذهب النور وتبقى الحرارة لو قال ذهب الله بضوئهم فانه يذهب الحرارة وكذلك ايضا النور لو قال ذهب الله بنارهم تذهب الحرارة ويذهب النور ولكنه قال ذهب الله بنورهم. اذا ما الذي بقي حينما ذهب النور - 00:18:35
بقي الاحراق والحرارة وهكذا كل من تمتع بشيء يبذل في سبيله دينه ولكنه يكون من سخط الله تبارك وتعالى ومحادته وحرب اوليائه فانه يتمتع به قليلا بمال او وظيفة او جاه او نحو ذلك لكن سرعان ما - 00:18:57
يذهب هذا النور ثم بعد ذلك تبقى الحرارة والاحراق يبقى عليه ذلك سبة في الدنيا وعذابا في الاخرة ان لم يغفر الله عز وجل له ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات - 00:19:23
لا يبصرون. ولاحظ هنا ان الله تبارك وتعالى قال ذهب الله بنورهم فوحد النور لكن الظلمات وتركهم في ظلمات لا يبصرون. تركهم في ظلمات جمع الظلمات لان الحق واحد والضلالات كثيرة جدا - 00:19:41
ومن ازاغ الله تبارك وتعالى قلبه لم يبالي به باي واد هلك فقد يركب اي ملة او نحلة او ضلالة لكنه في النهاية سالك طريق الغواية والشر والضلال والانحراف الذي يؤدي به الى سخط الله عز وجل - 00:20:03
وعذابه وطرق الضلال كثير وتركهم في ظلمات لا يبصرون. وبهذا نعرف ان الطريق الموصل الى الله واحد. ومن اراده فعليه ان يتبع ويلزم الصراط المستقيم الذي رسمه الله عز وجل لعباده من اجل - 00:20:24
سلوكه وتركهم في ظلمات لا يبصرون وتأمل في قوله تبارك وتعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ثم ايضا - 00:20:45
تأمل ما ذكره الله تبارك وتعالى هنا وتركهم في ظلمات لا يبصرون. قد يكون الانسان في ظلمه لكنه يبصر معها ابصارا ضعيفا. اما هؤلاء في عمى تام نفى عنهم الابصار بالكلية - 00:21:07
يعني الا يتوهم ان هذه الظلمات يكون معها شيء من الابصار وهذا يبين حال هؤلاء اهل النفاق وكذلك ايضا حال اهل الكفر فهم يتخبطون في ظلمات وقد ضرب الله المثل - 00:21:24
لهذه الظلمات كما في سورة النور او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها هذي ظلمة القلب وظلمة الكفر وظلمة الطبع - 00:21:39
وظلمة المعاصي هي ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها. وهكذا بقي على كل حال في هذه الاية بقية اترك ذلك الليلة الاتية ان شاء الله تعالى واسأل الله ان ينفعنا واياكم - 00:22:00
بما سمعنا ويجعلنا واياكم هداة مهتدين والله اعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه - 00:22:19